لقد مضى ابن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) يبرهن على فساد نظرية العامل فيذكر ما ترتب عليها من فساد الصيغة العربية للعوامل المحذوفة لعلم الخاطب بها كقولك: زيدٌ في جواب: من جاء؟

على تقدير: جاء زيدٌ.

فزيدٌ فاعل لفعل محذوف، أو لمجرد الافتراض كقول النحاة في مثل قولهـ م: (الكتاب قرأته) إن الكتاب مفعول به لفعل محذوف والتقدير قرأت الكتاب قرأته. وفي قولنا: يا عبد الله يجعلون المنادى مفعولا به لفعل محذوف تقديره أدعو عبد الله أو أنادي عبد الله، وهذا الافتراض يخرج الجملة من كونها إنشائية ويجعلها، جملة خبرية. فقد قسم ابن مضاء المحذوفات على ثلاثة أقسام:

١- محذوف لا يتم الكَلام إلا به، ومنه قوله تعالى: (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قالوا خيراً)(١١٢).

٢- محذوف لا حاجة بالقول إليه بل، هو تام دونه وإن ظهر كان عيبا كقولك: أَزيداً ضربته؟ قالوا إنه مفعول بفعل مضمر تقديره: أضربتا زيداً؟ وهذه دعوى لا دليل عليها (١١٣).

٣- مضمر إذا ظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره كقولنا: يا عبد الله.. وعبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره: أدعو أو أنادي وهذا إذا ظهر تغير المعنى وصار النداء خبرا وكذلك النصب بالفاء والواو ينصبون هذه الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف (بأنْ) ويقدرون (أنْ) مع الفعل بالمصدر (١١٤).

وينبه ابن مضاء (ت. ٥٩٢ هـ) علما أن مثل هذه التقديرات تؤدي إلى إدخال ألفاظ زائدة على القرآن الكريم من غير دليل وبذلك يدخل النحاة في القرآن ما ليس منه بتقديراتهم الخيالية وزيادة المعنى كزيادة اللفظ.

ومن بنى الزيادة في القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل فقد قال في القرآن بغير علم وتوجه الوعيد إليه (١١٥).

ويعترض ابن مضاء على تقدير متعلقات الجار والمجرور حين يقعا أخبارا أو صلة أو حالا وأن هناك تقديرات لا وجود لها في أسلوب عربي رصين وإنما دعت إليها الصناعة

النحوية، ويرى أن متعلق الظرف كمتعلق الجار والمجرور في عدم الحاجة إليه بل إن تقديره يفسد الكلام.

وعلى غرار هدم فكرة العامل المحذوف يدعو ابن مضاء إلى هدم فكرة المعمول المحذوف، فأنكر وجود ضمير مستتر في قولنا: زيد قام، وقال: إن (قام) مثل (قائم) فكما نقول: زيد قائم نقول: زيد قام وكلاهما خال من الضمير المستتر ومن هنا ذهب إلى الألف والواو والنون في مثل: قاما وقاموا وقمن ليست ضمائر وإنما هي حروف علامة التثنية والجمع المذكر والجمع المؤنث لا تختلف عن تاء التأنيث الساكنة مثل: سافرتْ.

وإذا تقدم الفاعل المؤنث المجازي وجب إثبات تاء التأنيث فتقول: الشمس طلعت، أما إذا تأخر الفاعل جاز إثباتها مثل طلعت الشمس وجاز حذفها مثل طلى الشمس وكذلك فعل العرب بأدوات التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا فأثبتوها تارة فقالوا: قاما الرجلان وقاموا الرجال وأكلوني البراغيث، وسموها لغة أكلوني البراغيث وهي لغة طي وبلحارت بن كعب وأزد شنوءة (١١٦)، ورفعوها تارة أخرى، كما تفعل غير